14 me Année No. 657

Lundi —5—2—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٥٧ « القاهرة فى يوم الإثنين غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٥ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

هؤلاء الفرنسيون ...

للأستاذ سيد قطب

فى الوقت الذى تنال فيه قضية سوريا ولبنان عطفنا وعطف الجامعة العربية ، وتتمتع بالاهتمام الذى تستحقه من كل عربى ، نجد قضية أخرى لا تتمتع بهذا الاهتمام بالدرجة الكافية ... تلك هى قضية الشمال الأفريقى — الجزائر وتونس ومراكش — التى ترتكب فيه الدولة الفرنسية أشنع مأساة يخجل منها المتحضرون .

والواقع أن أشنع ما ارتكبه الفرنسيون فى سوريا ولبنان ، لا يعد شيئاً بالقياس إلى ما يرتكبونه فى الشمال الإفريقى فى هذه اللحظة . فلم تزد شناعاتهم فى سوريا ولبنان على فعلة حمقاء — جرياً على طبيعتهم فى تاريخهم الطويل — بالقبض على رئيس جمهورية لبنان ووزرائه ؛ ولم تزد على مؤامرة خسيسة دبروها لاغتيال أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان فى أثناء اجتماعهم ؛ هذه المؤامرة التى فشلت لوقوع بيانات سرية فى أيدى الحكومة السورية قبل تنفيذ المؤامرة الخسيسة ! ثم ضرب دمشق بالقنابل مرتين فى خلال عشرين عاماً ...!

وهذه كلها بالقياس إلى ما يرتكب فى الجزائر ومراكش خاصة لا تعـــد شيئاً . وقد هزت شعورنا تلك الحوادث التى ترتكبت فى البلدين الشقيقين ، فمن حق ما يقع فى الشمال الإفريقى أن يثير نفوسنا وأن يدفعنا إلى التدخل الحاسم .

وأنا لا أتوجه بهذا الكلام إلى الجامعة العربية وحدها ، ولا إلى رجال السياسة فى البلاد العربية كذلك ؛ إنما أتوجه إلى ضمير الشعوب العربية جميعاً . فأنا على ضعف ثقتى برجال السياســة فى هذا الجيل لا أزال شديد الثقة فى الجماهير ، وفى ضمير هذه الجماهير ؛ وهو وحده الضمان لتقوية الجامعة العربية ودعمها ، ولدفع رجال السياسة مهما اعتور نفوسهم من الضعف والتردد .

فإلى هذا الضمير الشعبى العام أتوجه بالحديث .

ولكى لا أتهم بالتحامل فإنى أعرض على قراء العربية صورة لتصرف الفرنسيين فى الجزائر ليست من صنعى ولا من صنع كاتب عربى ، إنما هى من رسم رجل فرنسى شذ فكان له ضمير ! ولعله هو أيضاً ضمير مدخول ، فهو يكشف لأبناء وطنه عن شناعة الحكم الفرنسى فى الجزائر خشية أن يؤدى بهم هذا إلى فقدان الجزائر . فليس شعوراً إنسانياً هو الذى يدفعه إلى بسط سوء الحالة فيها ، إنما هو روح استعمارى بصير ، هدأت فيه الحماقة التى هى طابع السياسة الفرنسية التقليدى فى التاريخ !

هذا الكاتب هو المسيو « جان ميليا » من كبار الديبلوماسيين الفرنسيين ، وقد ضمن ملاحظاته هذه كتاباً باللغة الفرنسية نستعرض هنا مقتطفات منه نقلها إلى العربية الأستاذ « محمد عبد الكريم » ونشرتها مجلة « الشرق الجديد » .

« ضرب المؤلف الفرنسى مثلا مما يسميه مواطنوه الفرنسيون قانوناً بالجزائر ، بذلك القانون العجيب المسمى قانون الغابات .

« فالمستعمر الفرنسي يُمنح الأرض ليستغلها ، وهو يُعطى ما يختاره بسخاء بدون مقابل . وقد حدث مرة أن احترقت غابة يستغلها فرنسي ، وحامت الشبهة في هذا حول الوطنيين ، فكان أن عمدت الحكومة إلى إصدار قانون ينص على أنه في حالة احتراق أي غابة يملكها فرنسي ، فإن العرب القيمين في أقرب منطقة مجاورة للغابة يلزمون بدفع تعويض للمستعمر الفرنسي صاحب الغابة حسب ما يقرره حاكم المدينة .

« ويردف الكاتب الفرنسي ذلك بقوله : ومن يوم أن صدر هذا القانون أصبح شائعاً في أوساط المستعمرين الفرنسيين أن من يصاب في مشروعه بالفشل أو من يسوقه الحنين للعودة إلى بلاده فما عليه إلا أن يعمد إلى غابته يحرقها ، ويبلغ الحاكم ليشهد في اليوم التالي إبلا وغنما وحميراً وخياماً وأقوات أهل القرية المجاورة تباع كلها في السوق قسراً ، ليعطى ثمنها تعويضاً لذلك الفرنسي عن ضرر أحدثه هو بيده ! »

هذا ما قاله الكاتب الفرنسي ، أما الذي لم يقله في هذا الصدد فهو أن المساحات الشاسعة من الحقول والبساتين تنزع ملكيتها من أيدي ملاكها العرب لتعطى إلى المستعمرين الفرنسيين حيث يطرد هؤلاء الملاك إلى البقاع المحلة ، حتى إذا راحوا يفلحونها بالجهد الشديد ويصلحون تربتها بسواعدهم وكواهلهم والبقية الباقية من أموالهم إلى أن تصبح صالحة للزراعة ... عاد الفصل السابق يمثل معهم من جديد فيطردون منها لتعطى للمستعمرين من جديد !

ثم يقول المؤلف الفرنسي :

« إن حق المواطن في الجزائر يمنحه كل يهودي دون استثناء ، ولا يجوز منحه للمسلمين إلا لعدد قليل ممن يرى الحاكم الفرنسي منحه لهم : ولم ينتفع بهذا الحق حتى الآن من المسلمين أكثر من ألف وخمسمائة

« وحرمان رجل أولى حقوقه العامة كمواطن لا لجرم سوى انه مسلم هو أعجوبة الأعاجيب في الأوضاع الدستورية ، حتى أن « بارتلمي » أستاذ القانون الدستوري بجامعة باريس لم يستطع كتمان تعجبه ، فهو يسائل مواطنيه في مناقشته حق الانتخاب بكتابه الذي يدرس بالجامعات الفرنسية : إنا لنعجب للتفرقة بين مواطنين من بلد واحد ! كيف يمنح حق المواطن لأحدهما ولو كان من الرعاع لأنه يهودي ، ويحرمه الآخر ولو كان مؤهلا بالدكتوراه وحاملا لوسام جوقة الشرف ، لا لذنب إلا لأنه مسلم ؟ ! »

وينقل الكاتب الفرنسي في كتابه شهادة كاتب فرنسي آخر هو « بليسيه دي ريبو » حيث يرجع ريبو « عدم تحقق الألفة بين الوطني والفرنسي إلى ما يكنه ويبديه الفرنسي للجزائري من مهانة واحتقار . فالمستعمر الفرنسي بل الحكام الفرنسيون يهبطون إلى أرض الجزائر مشبعين بفكرة وعقيدة لا تتزعزع ، هي أنهم بين أعداء ، وهم لهذا لا يبدون نحو العرب أي عطف أو حسن معاملة »

وينقل كذلك شهادة كاتب فرنسي ثالث هو « جوليو فيري » : « إن المستعمر يستبد بالوطني أي استبداد ، وهو يستشعر السيف لا في أقواله فحسب ، بل في سلوكه الذي لا يرعى فيه للعربي حقاً ولا كرامة »

هذا ما قاله المؤلف الفرنسي وما نقله عن غيره . أما ما لم يقله فهو أن كلمة « عربي » هي من ألفاظ الشتائم والتحقير في الاصطلاح الفرنسي ، فإذا شاء أن يشتم إنساناً أو يحقره نبزه بلفظ « عربي » !

وهذه حقيقة معروفة أضعها تحت أنظار العرب لينظروا في هذه الإهانة عن أنفسهم باحتقار كل ما هو فرنسي ـ مهما اشتدت حاجتهم إليه ـ واحتقار كل من يخدع بفرنسا أو ينتمي إليها أو يرفع رأسه ليعجب بهؤلاء الذين يدعون أنفسهم متحضرين

أما الفرنسيون في مراكش فهم الفرنسيون في الجزائر وفي تونس وفي كل مكان على ظهر هذه الأرض يبتلى باستعمارهم الوحشي

بين يدي نشرة صغيرة وزعتها « رابطة الدفاع عن مراكش » في ١١ يناير الماضي ، بمناسبة « ذكرى عيد الجهاد الوطني » الذي بدأ في ١١ يناير سنة ١٩٤٤ . وقد جاء فيها بأسلوب معتدل كل الاعتدال تحت عنوان « السياسة الفرنسية في مراكش » ما يأتي :

« هناك مبدأ شعاره السيف والمحراث ، وهو مبدأ قديم ابتدع شعاره الكونت ديسلي منذ أوائل القرن التاسع عشر ؛ والسيف رمز لقهر أصحاب البلاد وإرهابهم ؛ والمحراث رمز لاستغلال كل الخيرات التي تشتمل عليها تلك البلاد ، وإذا أردنا أن نقلب العبارة من الرمزية إلى الصراحة قلنا : الإستغلال بالقوة !

« ومراكش اليوم مستغلة بالقوة بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى . وفرنسا حجر عثرة فى سبيل رخائها وتقدمها بأكثر مما فى هذه العبارة من معنى . ومبدأ العرقلة يتمثل فى كبت الحريات ، وعدم التشجيع على التعليم ، وعدم السماح بوجود صحافة حرة أو جمعيات حرة ، وغير ذلك من الحقوق البسيطة التى تتمتع بها أحط المستعمرات فى العالم . فالمثقف غريب فى مراكش لا عمل له ولا مستقبل . بينما يتقلب الجهال فى الوظائف العليا ؛ بذلك يساعدون على بث الانحلال فى أداة الحكومة الوطنية . السلطة الحامية تعرقل أيضاً كل ما من شأنه أن يغير أسلوب الحياة الاجتماعى . وهى لا تسمح للصحف العربية بالدخول إلى البلاد لا تسمح للطبقة المثقفة بإصدار الصحف لتنوير عقول الناس . هى تعرقل قيام المؤسسات الوطنية الإقتصادية . وهكذا لا توجد وسيلة لعرقلة التقدم فى مراكش إلا تفنن هؤلاء الموظفون فى تنفيذها .

« أما سياسة السيف والمحراث أو الإستغلال بالقوة فهى تتمثل فى نزع ملكية الأرض من الأهالى وتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين ؛ وفى تأسيس الشركات الإحتكارية التى تستحوذ على الصادرات والواردات ، وتهيمن على السوق ؛ وفى استغلال المناجم استغلالا لا تعرف عنه مراكش شيئاً ؛ وفى تسخير الأيدى العاملة لأجور زهيدة ؛ وفى إشعار رجل الشارع بأنه دون الفرنسى ؛ وفى فرض الضرائب الفادحة حتى أصبح المراكشى يدفع من الضرائب ما لا يدفعه أى شخص فى العالم ؛ وفى استغلال المياه الإقليمية والأنهار والغابات والمزارع وآبار البترول وكل الخيرات التى توجد فى هذه البلاد . وقد تمت سياسة الإستغلال هذه بشكل أصبح يهدد كيان البلاد الإقتصادى بالإفلاس »

هذا ما قالته مذكرة رابطة الدفاع عن مراكش . أما ما لم تقله ولدىّ عنه أخبار وثيقة ـ فهو الوحشية البربرية المتبعة فى نفى علماء السياسيين وتعذيبهم واختيار أماكن اعتقالهم ، حتى أصبح معظمهم مريضاً بالسل . وهى وحشية مقصودة لتخويف الآخرين !

وليس لأحد أن يشك فى صحة هذه البيانات المراكشية ، فهناك ما يؤيدها فى الجزائر بشهادة الكتاب الفرنسيين أنفسهم . فهى إذن سياسة واحدة تدل على هذه العقلية البربرية التى تعيش بها فرنسا فى القرن العشرين فى ساحات شاسعة تستحق الإهتمام .

ومما يدل على الظلم والجحود أن هؤلاء الجزائريين والمراكشيين هم الذين نصروا فرنسا فى حربين متواليتين ؛ فكل الشجاعة التى يتشدق بها الفرنسيون فى معركتين كبيرتين فى هذه الحرب والحرب الماضية ـ وهما معركة بئر حكيم ومعركة المارن ـ كان أبطالها هم الجزائريين والمراكشيين . أما الجندى الفرنسى ـ الذى يشيع المغرضون عنه خرافة الشجاعة ـ فقد تحطم وانهارت قواه وهو يدافع عن بلاده فى الحربين على السواء

معركة المارن كسبها « الفيلق الإفريقى » وكانت نقطة التحول فى الحرب العظمى . ومعركة بئر حكيم ثبت فيها الجزائريون واللبنانيون . ومعركة الصحراء الغربية كسبها جنود مستعمرة تشاد وإفريقية الإستوائية . أما الجندى الفرنسى فقد انهارت قواه أو استأسر استئسار الجبان فى كل مكان !

ثم تكون المكافأة التى يوحى بها الجحود لهؤلاء الذين نصروا فرنسا مرتين فى ربع قرن هى هذه المعاملة القاسية !

ولكن مما يعزى الشرق العربى أن فرنسا قد انتهت — على الرغم من كل تشبث لها بالبقاء — انتهت ، ومن واجب الشرق العربى أن يدق المسامير فى نعشها

وآية انتهائها هو هذا الجمود فى سياستها وعقليتها الاستعمارية ، بينما الآخرون يحاولون التجديد ، ولو فى الألفاظ والأساليب

ففرنسا قد استحالت أمة جامدة متمسكة بكل وضع قائم تمسك الغريق . كانت هى الأمة الجامدة المحافظة فى إلغاء الامتيازات بمصر بمؤتمر مونتريه . وكان هذا موقفها مع سورية ولبنان ، فلم تبرم معهما المعاهدة التى اتفقا عليها ، وكانت النتيجة أن فقدت نفوذها كله . وبالمثل كان موقفها فى هيئة الأمم المتحدة وهى تتمسك بالاستعمار والانتداب ولا تقبل كلمة « الوصاية » كما قبلتها انجلترا المأكرة المرنة اللعوب !

هو التحجر . وهو آية الفناء . فليعمل كل عربى مخلص على الإسراع بهذه النهاية السعيدة . وليكن اهتمامنا بالشمال الأفريقى العربى ضربة حاسمة فى دق المسمار الأخير .

سيد قطب